هاجس الاغتراب والترحال عند عبدالوهاب البياتى

الدكتورة ناهده فوزى[1]

الملخص

انّ البيّا تي الشاعر الجوّاب الذي قضى عمره في الترحال و الطواف في مدن العالم، عبّر عن الاحساس بالغربة بصورعديدة و وفق مراحل مختلفة، تعكس اشكالاً متنوعة لهذه الرؤية. فهذه المقالة تكشف عن أبعــاد هــذه الظاهرة و مراحلها من خلال أشعاره و تصل الى نتائج تدلّنا على معرفة جذور شخصيّة البياتي الذي عاش فى شعره فانعكست مراحل حياته عبر دواوينه الشعرية.

المفردات الرئيسة: البياتي ؛ الاغتراب؛ الوطن، الترحال

المقدمه

ما اريدأن ابيّنه في مقالتي هذه هو الاحساس بالغربة و جــذورها وأبعادهــا عنــد الــشاعرالعراقي المعاصرعبدالوهاب البياتي و هل الغربة عنده تدلّ على حالة منبعثة و متأثرة من العوامل الخارجية فى المنافي الواقعية و الابتعاد عن أرض الوطن أو الإحساس بالغربة عنده حالة نفسيّة و رؤية شعرية تجــاه الحياة و الكون تنبعث من المنافي الذاتية و الغربة النظرية الايطوبيّة، التى تستخدم كطاقةٍ نفسيّةٍ للإبداع و الابتكار و تدلّ على رؤية تنظيريّة؛حيث يرى الشاعرنفسه غريباً متوحّداً في هذه الدنيا وكأنّه يرحل بعقله و في ذاته "من منفى إلى منفى" و يبحث عن مجهولات العالم و كأن الاحــساس بــالاغتراب عنده نوع من الانفصال عن المجتمع و حتّى عن النفس.

ما حثّني على اختيار دراسة هذه الظاهرة عند البياتي، شاعرالتجواب في مدن العالم التى عبّرعنــها بالمنافي الواقعية، هو كشف مدى أثر الاغتراب خارج الوطن في هذا الإحساس و تمييزه عن الإحساس بالغربة الذاتية.سواء كان الاغتراب في أرض الوطن أو في الترحال أو اندماج كلــتي الحــالتين في آنٍ واحدٍ.

---

١ . الاستاذة المساعدة بجامعة الاسلامية الحرة – الطهران المركزى

تاريخ الوصول: ١٣٨٧/١٠/٣ تاريخ القبول: ١٣٨٨/١١/٣٠

لأجل تبيين جذور رؤية عبدالوهاب البياتي للا حساس بالغربة. لابدّ أنْ اتطرّق الی نبذة من حياتـه التي قضی معظمها في الترحال.

مظاهر الاحساس بالغربة

ولد البياتي سنة ۱۹۲٦ في بغداد و في ۱۹۵۰ تخرّج في الأدب العربي و نال شهادة الليسانس، و نشر اوّل دواوينه الشعرية باسم "ملائكة و شياطين" نفس السّنة في بيروت. عمل في حقل التدريس فترة و قد فصل عن العمل بسبب ميوله الوطنيّة المعادية لنظام الحكم الرّجعي الإقطاعي، ممّا حمله علی التنقّل من بلدٍ عربّي الی آخرو جعل معظم حياته في الترحال. بعد ثورة ۱۹۵۸[۱] عاد إلی العراق فعيّن في وزارة التربية مديراً للتأليف و النشروالترجمة ثم ملحقاً في السفارة العراقية في موسكو الی أن استقال مؤثراً التدريس في جامعة موسكو.و في عام ۱۹٦٤ سافر إلی مصر، حيث أسقطت عنه الجنسيّة العراقية ثم اعيدت اليه سنة ۱۹٦۸، فعاد الی العراق عام ۱۹۷۱ و عيّن في وزارة الثقافة و الإعلام و انتقل الی اسبانيا بعد تعيينه ملحقاً ثقافياً بمدريد منذ بداية عام ۱۹۸۰ الی عام ۱۹۸۹، و في ۱۹۹۰ عاد الی بغداد. و في أول ۱۹۹۱ أتاه نبأ وفاة ابنته الكبری" نادية " في امريكا، الذي صادف غزو الكويت و تلك الظروف الحرجة في العراق. فبعد انتظار مؤلم للموافقة علی سفره من العراق سافر الی امريكا ليقوم بواجبه تجاه ابنته المتوفّاة ويحتضن أطفالها.

بعد ذلك قرّر البقاء في عمّان، ثم سافر الی لبنان و مكث مدّة هناك فرحل من لبنان الی سورية. توفّي البياتي في دمشق من عمرناهز ۷۳ عاماً إثراصابته بأزمة قلبية، و دفن في دمشق، كماكان يودّ، في حيّ من احياء الفقراء الذين عاش بينهم و غنّی لهم شعره، الی جوار الجواهري[۲] و محيي الدين بن عربي[۳]. (كامبل اليسوعي، ۱۹۹٦، ج ۱، ص ۳۸۸- ۳۸۹؛ عبد القادر، ۱۹۹۹، مجلة المصور، عدد ۳۹۰۵، ص۳٦).

وهكذا تمتّع البياتي بثقافة واعية بالعالم و معلومات متوسّعة فخدمته هواية الترحال و جلبت له الشهرة العالمية (الصائغ، ۱۹۷۸، ص۵۰، ۸٤- ۸۵؛ فوزی، ۱۳۸۳، ص٤، ۳٤- ۳۵). إنّ البياتي في الواقع لم يكن منفيّاً من جانب السلطة و لا معاقباً من قبل الحكومة، بل رحل من العراق بجواز سفر قانوني و اختار الهجرة و التجواب في مدن العالم، التي كان يحلم بها دائماً، لتفتح له المجال لتطوّر إبداعه الشعري (انظر: البياتي، ۱۹۹٦، ص ۹۱-۹٤؛ فوزی، ۱۳۸۳، ص۳٤) فأسطورة الشاعرالمنفي التي خلقها البياتي لنفسه كرؤية شعرية، تنبعث من أحاسيس الشاعرالنفسيّة في الغربة (فوزی، ۱۳۸۳، ص ۳٤- ۳۵). فأريد ان أكشف عن مصيرشعرالغربة عند شاعرعاش ما يقرب من نصف عمره خارج بلاده.

مثلاً نراه ينشد واقع الإحساس بالغربة في ظروف الاغتراب خارج وطنه و يتكلم عن الوطن الذي يريد تغيير
ظروفه و يعبّر عنه بالسراب:

يا صوت الغراب

أين أمضي، وطني ناءٍ، و كفاك على رأسي تراب

أين أمضي، فارسي مات على أبواب بغداد سراب

يا غراب البين لا تنعب

فأيّامي رحيلٌ واغتراب (البياتي، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٤٢).

وايضاً في شعر آخرعندما يتطرّق إلى القضايا السياسية و الاجتماعية يعبّرعن المشرّد و العودة من الغربة بتعبيرها الواقعي الخارجي عندما ينشد :

الشاعرالغارق في الأحزان والأغلال

يعود من غربته ممزّقاً جريح

ماذا تقول الريح؟

للشاعر الشريد

في وطن العبيد

والساسة اللصوص و التجار الأ نذال

يمرغون القمر

الأخضر في الأوحال

و يسفحون المال

تحت نعال جارية (البياتى، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٨٤).

و كثيراً ما يربط الشاعر الإحساس بالغربة في المنافي الواقعيّة، مع ظاهرة الثلج بما أنّه عاش سنوات بعيداً عن أرض وطنه في موسكو بلد الثلج فكأنّه وجد علاقة بين الغربة و الثلج :

لريشتي الشريدة

لغربتي، للثلج في المنفى. لهذي النجمة الوحيدة (البياتى، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٩٠).

ولكن لم يكن الشاعرمنفيّاً بل كان مستشاراً ثقافياً في سفارة الجمهورية العراقية في موسكو.(انظر، ١٩٩١، ص ١٨٠). مع أنّ البياتي اختار الترحال طوال حياته، لكنه عانى من الاحساس بالغربة و مع انّه لم يكن منفيّاً وجد العالم منفى. (فوزى، ١٣٨٣، ص ٢١٦).

ومن جانب آخرنراه يعبّرعن حلاوة طفولته بصيف الطفولة و يحن اليها فيكشف عن تشوّقه إلى عالم الطفولة العذبة في أرض الوطن:

و حدائق الليمون في أعلى الفرات

أمضيت صيف طفولتي

فيها، و أدركني الشتاء

و حملت في منفاي بعد رحيلها

ذهب القصائد و الرّماد (البياتی، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٩٥).

و كم قارن الشاعر بين الغربة و الثلج و الموت و المنفى و الأسوار و السجن والواحدة و جمع مثل هذه الكلمات متتالية، تلهمنا مدى الإحساس بالغربة عند الشاعر، نستشهد بأبيات منها:

وجهي الآخر تحت قناع الموت

و ضياعي في ملكوت المنفى:

من منّا الأعمى

في سجن الحريّة؟

يبكي تحت الأسوار الحجرية

و يموت وحيداً في الغربة

محكوماً بشروط اللعبة (البياتی، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٧٦) .

و أيضاً يستخدم الرموز لبيان أنّ قلمه و ما ينشده هو سلاحه في وحدة منفاه تحت عنوان " الحلزون " فيعبّرعن هذا السلاح بــ " النبوءة "

رجلٌ تسلّح بالنبوءة و اللهيب

أسرى بنار الرافضين

و مات في المنفى وحيد

كلماته اخترقت جدار الصمت

ذوّبت الجليد (البياتي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٥٦) .

و أيضاً يشير إلي الإحساس بالغربة الخارجية بنفس الكلمات معبراً عن طقوس سياسية غامضة تكشف عن حالة الشاعر النفسيّة و تدلّ على التمرّد و التحدّي عنده. الطقوس التي جعلت الشاعر يكون كالميت في حياته، و لا يجد في صدره إلاّ المقبرة و الثلج معبّراً عن مدى سيطرة الجمود و الركود في الأجواء السياسيّة :

مملكة الشاعر حاصرها الأعداء . . .

شقّوا صدر الشاعر

لم يجدوا في داخله

الاّ مقبرة، كان الثلج يغطّيها . . .

حكموا بالنفي على الشاعر بعد الموت

أقاموا حول المنفى، الأسوار (البياتی، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٥٣١).

و أيضاً يعبّرعن كآبة غربته بالليالي الباردة وحقيبةٍ يحمل فيها قلبه الحزين في قصيدة يخيّم اليأس على أبياتها:

الشموع انطفأت

والليالي بردت

وأنا احمل قلبي في حقيبة

مثل طفل ميّتٍ،

أغرق بالدمع صليبه (البياتی، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤١١).

كرّرالبياتي تعبير" من منفى إلى منفى " في أشعاره التي تناسب واقع حياته فعاش معظمها في المنافي و نراه ياتي بتعابيرسياسية – اجتماعية و رموز مأخوذة من واقع الحياة في وطنه. الظروف القاسية الـتي أدّت إلى اختيار الاغتراب و الترحال من جانب شاعرنا:

من القاع اناديك . . .

أهذا الثلج من برد لياليك

أهذا الفقر من جود أياديك . . .

أهذا القمر الميت انسان؟ . . .

أتسرقني؟ أتتركني؟

بلا وطنٍ و أكفان

أهذا انت يا جاري؟

تطاردني الى داري

كأن شوارع المدن

خيوط منک يا كفني

تطاردني، تعلّقني

على شبّاك مستشفى

و من منفی الی منفی (البياتی، ١٩٩٥، ج ٢، ص٤٢-٤٣، ٤٥).

و كثيراً ما نراه ينظر بمنظار سياسي محترف و متشائم بالنسبة للمعادلات السياسية من خارج وطنه أو من منفاه لأنّه عبّر عن العالم بالمنفى و عن الغريب بالذي لايحيا ولا يموت في الغربة و الثلوج تحيطه:

الساسة المحترفون ينجرون خشب التابوت

وأنت في ا لغربة لا تحيا و لا تموت ..

تطمرک الثلوج و النجوم و الیاقوت (البياتی، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٩٦).

و عندما ينشد عن العرب اللاجئين و عن يافا يتكلم عن واقع اللجوء و مرارتــه و عـــن الواقـــع السياسي :

ليل المنافي في محطّات القطار بلاعيون

يبكون تحت القبعات

ويذبلون و يهرمون

يا من رأى " يافا " بإعلانٍ صغيرٍ في بلاد الآخرين

يا من يدقّ الباب

نحن اللاجئين

متنا... و ما " يافا " سوى اعلان ليمون! (البياتی، ١٩٩٥، ج ١، ص٤٢٤).

وايضاً نراه يجسّم الواقع الاجتماعي للاَّجئين و يسأل عن لسان الإنسان الغريب اللاجئ و يــدعوه للثورة و استرداد وطنه في شعر تحت عنوان " لماذا نحن في المنفى؟ " :

لماذا نحن في صمت

نموت

و كان على الشوك

و كانت لي . .

لماذا نحن في المنفى

نموت في صمت

و لا نبكي

على النار

مشينا و مشى شعبي

لماذا نحن يا ربّي

بلا وطنٍ، بلا حبّ (البياتی، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٣٠) .

فإن البياتي الذي كان لا يطيق الحصار، اختار الترحال بحثاً عن ظروف تمنحه اكثر حريّةً، كان شاعر الوطنية
العالميّة اكثر من أن يكون شاعر الوطنية المحليّة (فوزى، ۱۳۸۳، ص ۲۱٦).

الإدماج بين الاحساس بالغربة الواقعية و الذاتية

يتطّرق البياتي الى كبارالشعراء القدامى، يبحث عن وجوه الاشتراك بين إحساسه بالغربة الذاتية وإحسا س أمثال أبی العلاء المعري[٤] و الخيّام بها. فيبحث عن الجذور و يحاول أن يتمسّک بقمة التراث الانسانی ففي شعره "حسرة في بغداد " يجعل شوقه الى العراق كشوق أبي العلاء لمعرة النعمان التي عندما ارتحل عنها الاْحباب اصبحت وطناً كئيباً، فارقته الفرحة و لم يبق فيها الإ الموت:

معرة النعمان يا حديقة الذهب
الصيف جاء و ذهب
وأنتِ تضحكين
لاهيةً، بالرمل تلعبين
حطّ على شرفتک الغراب
وارتحل الأحباب
تفرّقوا قبائل
و جفّت الخمائل
و هاجرت مع الضحى العنادل
لم يبق الاّ الموت في الأطلال و الهياكل (البياتی، ۱۹۹۵، ج ۲، ص ۳۲).

و يعبّر عن ظروفه و حالة غربته على لسان الخيام :

في سنوات الموت و الغربة و الترحال
كبرت يا خيّام
و كبرت من حولك الغابة و الأشجار . . .
و مات في داخلك النهر الذي اُرضع نيسابور(البياتی، ۱۹۹۵، ج ۲، ص ۷۱) .

و نرىٰ البياتي في تعبيره عن الغربة يستخدم الأساطير و التراث التاريخي و يحاول التـزاوج بـين أصالة التراث و التقنية العصرية لينضج تجربته الشعرية و كم يكون إحساسه عميقاً و جريحاً مـن ألم الغربة بحيث استطاع ان يترك اثر الحسرة المنبعثة من خلايا وجوده في نفس القارئ و يصل الىٰ رؤيـة كونيّة، متّخذاً من الأسطورة قناعاً لنفسه :

من أسفل السلّم ناديتك يا ربّاه
جلدي يسّاقط في الظلام . . .
الليل طال و طالت الحياة
و بردت جدران هذا القلب يا ربّاه
جنيّة البحر على الصخرة تبكي، مات سند باد . . .
ربّاه طالت غربتي ربّاه!
وغرقت عبر الليالي " ارم العماد "
عصا سليمان على بلاطة الزم
وهوعليها نائمٌ، متّكىءٌ، يقظان
ينخرها السوس، فىهري مىّتاً رمىم . . .
هَرّاً الخيّام
وسقطت أسنانه، و جفّت العظام . . .
والدود فوق وجهه فار و في الأقداح
العندليب قال لي، و قالت الرياح
الليل طال، طالت الحياة (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٨١ — ٨٢).

ومن ثم أدّى الإحساس بالغربة في المنافي الواقعية إلى حالة نفسيّة غامضة تدلّ على الغربة الداخلية و الذاتية في آنٍ واحدٍ، فيخبط الإحساس بالغربة الذاتية بواقع الغربة و الظاهرة الخارجية، في باريس، و ينيشد:

باريس في الشتاء
تدثّرت بالثلج و الفراء
فما لقلبى ظلّ في العراء
يبكي كعصفور
على الأرصفة البيضاء
وأقبل المساء
كمثل آلاف الأماسى
بارداً، يبكى ... بلا عزاء . . .
حانات ليل العالم الطويل
والثلج الذي تغمره الكآبة الخرساء

يحمل لي رائحة الموت الذی يحوم فی الهواء (البياتی، ۱۹۹۵، ج ۱، ص ۴۷۳) .

وعندما يتحدّث عن منايه الواقعية التی جعلته يجوب البحار، يشير الی أنّ وطنه هو المنفی و مـــا ادّی الی هذا المنفی هو شعره و سلاح قلمه لذلك لايشعر بالراحة من عذاب الغربة حتی اذا کان في أرض وطنه مجرداً من سلاحه:

أيّها الحرف
الذّي علّمني جوب البحار
وطني المنفی
و منفای إلی الأحباب دار
أيّها الحرف المدمّی
أيّها المنفی
يا محض شعار
إنّني أحمل بغداد معي في القلب
من دارٍ لدار (البياتی، ۱۹۹۵ ، ج ۱، ص ۴۱۴) .

ومهما طال عليه الزمن في المنافي لکنّه لايتشاءم و يجعل أرض وطنه کأسطورة محصورة في عالم الطفولة. تجعل إحساسه بالنسبة للإغتراب تتعالی و تتحّد مع أزلية الکون، فينشد في شعر " بغداد " :

مهما طال حوار الأبعاد
فستبقی بغداد
شمساً تتوهّج
نبعاً يتجدّد
ناراً ازلية
رؤيا کونّية
لطفولة " شاعر " (البياتی، ۱۹۹۵، ج ۲، ص ۴۸۲).

و أيضاً يتمّسک بکتب الأسفار و التاريخ وبالصوفی الحلاج[6] في شعر" التجلّي المقدّس " :

للوطن المدهوش في زوبعة الأوراق
للوطن المسکون بالعشاق . . .
لکتب الأسفار
والليل و النهار
تطّلع الحلاج . . .

وخبّأ الرأس الذي أحرق بعد الصّلب في الامواج (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٩٦) .

لعلّ عبدالوهاب البياتي اكثر الشعراء حديثاً عن المنفى و عن الإحساس بالغربة و كانّه بنى عــوالم من المنفى أحاطت بجوانبه كلها و عبّر عن غربته بغربتين، منفى في ذاته التي سنتطرّق إليها اكثــر، و المنفى الواقعي في الحياة الاجتماعية خارج الوطن، و لكن مع كلّ ما وجدنا من الاحساس النفــسي بالغربة و مع كثافة الرموز التي يستخدمها لانستطيع ان نقول انّه شاعر رومانسيّ أو ذاتيّ بل ما هــو الواضح في أشعاره والغالب على أسلوبه طابع الواقعيّة، والالتزام في ثوب من التشاؤم بالواقع السياسى، وهذا طبعاً لا يدلّ على التشاؤم النفسي بالنسبة لحقيقة الحياة والعبثية بتاتاً، فإنّه يتغنّى بالثورة و الحريّة والظاهرة المسيطرة حتّى على رؤيته التشاؤمّية، هي ثورته و عصيانه و تمرّده الدائم على مــا يجــري حوله، فكثيراً ما يشكو من واقعه ليثيرالحمّية و النخوة عند القارئ وهو يطلب السعادة والطمأنينة، و لكن بعد تغييرما يكون، و بما أنّه وحيدٌ في هذا الطريق ينشد الإحساس بالغربة، و عندما يرى الطقوس الحاكمة لا تلائم آراءه يحسّ بأنّه يعيش بالمنفى حتّى في وطنه. ونراه مع حزنه وتــشاؤمه وإحــساسه بالغربة و نقده اللاذع للمجتمع و " الناس العبيد "، ينظر الحياة بمنظارشاعر ملتزم واعٍ غايته توعيــة شعبه وحثّه على القيام لتحصيل حقوقه، فهويتحمّل ألوان العذاب في الترحال والغربة و السجن و ... و نراه يضطهد لأجل غاياته و لا يرى رسالته أسطورية و لا منعزلة عن الحياة، بل يعبّــرعن تجربتــة الفردية و رؤيته النفسية أحياناً و عن تجربة جماعية كتجربة فردّية أحياناً اخرى. فعندما يرى ســكوت ألانظمة و القوانين على الظلم الاجتماعي في أنحاء العالم و استغلال الأغنياء الفقراء، يعبّرعن معاناتــه الذاتية لهذه القضايا الاجتماعيّة . لكنّه يظلّ آملاً ولا يميل الى التدرّج و الضياع النفسي فتــشاؤمه في إحساسه بالغربة لا يؤدّي إلى رؤية عبثيّة للكون بل على العكس تجعله يصعّد و يعلي آفــاق رؤيتــه بالنسبة للغربة الداخلية إلى نظرّية كونيّة صوفيّة، شاملة سأتطرّق إليها في كشف الظاهرة الأخرى من الإحساس بالغربة الكونيّة.

الغربة الذاتية و الرؤية الصوفيّة

وأما الآن فأريد أن أبيّن الظاهرة الأخرى من الإحساس العميق بالغربة عند البياتي وهي الغربة الذاتية و الداخليّة وتدلّ على الإحساس بالغربة النفسية في هذه الحياة بل في الكون كلّه وأحياناً يشير إلى عوالم أخرى .

فيحطّم الشاعرأسوارالولادة والموت والزمان و ... ويقلب الأطر المتداولة للتعابير، فيعبّرعن الحيـــاة بالمنفى:

ها أنت وحيد
مملوء بالغربة في هذا العالم
تخرج ليلاً من باب الفجر . . .
في كلّ صباح تشنق نفسك
لكن العنقاء بنار الشعر تعود لتنفض عنك رماد الأشياء
فحبك يبقى الكتر المرصود
و تبقى انت ... منتظراً، مسكوناً بالغربة ... اميراً للمنفى . . .
ما بين الرهبة و الرغبة
ترحل نحو الداخل، مسكوناً بالغربة
العالم منفى في داخل منفى والناس رهائن. (البياتى، ١٩٩٥، ج٢، ص ٤٣٩-٤٤٠).

وهذه الرؤية من الكون هي التّي تجعله يرى الإنسان غريباً في وطنه وفي كلّ مدن العالم على سواء، و برأيي أنّ الذي أوصل الشاعر السياسي الملتزم عبدالوهاب البياتي في مساره إلى هذه النقطة هو فشل أمنياته لوطنه و للعالم العربي، في الواقع السياسي:

غريباً كنت في وطني و في المنفى
جراحاتي التى تشفى
ستفتح في غدٍ فاها
لتسألني
لتُصلبني
على شبّاك مستشفى
فأوّاها
بعيد أنت يا وطني . . .
أهذا انت يا قدري؟
تجرّ وراءك العربات و الموتى . . .
و تغرق هذه الغابات بالعتمة
عصافير بلاعشّ (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢ ، ص ٤٦).

وفي هذا النطاق نراه يقلّب المعاني المتداولة و يعبّرعن الموت تارةً بالولادة الأخرى و تارةً بالعودة من المنفى، ففي قصيدة " العودة من المنفى " يرثي صديقه ناظم حكمت[7] و ينشد :

ولادةٌ أخرى هو الموت، هو الإياب

زوارق الحبّ تحطّمت . . .

ناظم عاد! من يدقّ الباب؟

عاد من المنفى مع الطيور و السّحاب (البياتی، ۱۹۹۵، ج ۲، ص ٤٦).

وأيضا ينشد في رثاء ناظم حكمت عن لسان حاله:

يتيمة الوطن

كنت وكان طائر الشجن

رفيق رحلتي إلى الكفن

رفيق رحلاتي إلى الوطن

في وحشة الزمن

كان حياتي، فأنا من بعده

سحابة . . .

تطردها الرياح من منفى

إلى منفى (البياتی، ۱۹۹۵، ج۱ ، ص ٤٧١).

و نرى هذا الإحساس الذاتي بالغربة عنده لا يتحمّل الموت و لا الحياة و لا الزمان و ...

القمر الأعمى ببطن الحوت

وأنت في الغربة لا تحيا و لا تموت (البياتی، ۱۹۹۵ ، ج ۲ ص ٦٧).

و أيضاً يعبّر عن الغربة في الزمن و ماوراء الزمن فينشد:

في مدن العالم

في بيوهّا

في وحشة الغروب

في زماننا الحزين

في الساعة الخامسة و العشرين

رأيته يدوس فوق ظلّه

يدقّ في ضلوعه أسفين (البياتی، ۱۹۹۵ ، ج ۱، ص ٤٧١).

وأيضاً يخرق حجب الزمان و المكان و الولادة و الموت و يعبّر عن ألمه بألمٍ بشريٍّ بلا حدود، فينشد في شعر تحت عنوان " الولادة في مدن لم تولد ":

أولد في مدن لم تولد
لكنّي في ليل خريف المدن العربيّة
مكسور القلب، أموت
أدفن في غرناطة، حبّي
واقول:
" لا غالب إلاّ الحبّ "
وأحرق شعري و أموت
على أرصفة المنفى
أنهض من بعد الموت
لأولد في مدن لم تولد و أموت (البياتی، ١٩٩٥ ، ج ٢ ، ص ٤٧٠).

ولكن في نهاية مسارهذا الإحساس بالغربة عندالشاعر، نراه يصل إلى الاتحاد مع الكون وتنقلب النظرة التشاؤمية بالنسبة للإحساس بالغربة الى نظرة عرفانية توصله الى أمان الحــبّ الأزلي و أن المنفــى ينقلب الى الحبل المتين الذي يؤدّي إلى سرّ الآلهة و الملكوت:

أيّ حبّ هو هذا؟
عندما يكتشف الشاعر في منفاه
سرّ الآلهة
في بياض الورقة
غابة / قافية محترقة
نجمة مؤتلقة
عندما يصبح هذا النّص مفتوحاً
وهذا القرع في شاهدة القبر
حضوراً في الوجود
تنهض الوردة من تابوها
حاملة نار جنون العشق
نار الملكوت (البياتی، ١٩٩٥، ج٢، ص ٥٢٧).

و أيضاً يعبّر عن هذا الإحساس بمقدمة للإبداع:

واصلوا الإبداع

في صحراء وحدهم

و كانوا / ما يكون

تركوا على أسوار هذا الكون

بعض رموزهم

وهم الى أرض الكواكب يرحلون (البياتی، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٩٢).

فهو أصبح ينشد الاتحاد مع الكون و الروح الأزلي و الإشراق و الخلود في " الهجرة من الذات "

بدأ استشهادی

بعد اليوم الثالث من خلق الدنيا

سكّنتني الموسيقى

داهمني ليل هيولي

اشتغلت روحي شوقاً للعود الأزلي

فصرت، أدور وحيداً في فلك الإيقاع

متّحداً في موسيقى الكون و نبض القلب الملتاع

و حين عبرت الخط الأحمر للدنيا

لمعت في عتمة نفسي شارات ضياء

و حوار ما بين الأحياء الموتى

و الموتى الأحياء

سكنت روحي في الكلمات

نهراً قدّسه رمزٌ كونيٌّ

صار الوجه الآخر للدنيا

صار الإشراق

ظهر الوجه الخالد للحبّ

انتصر الإبداع

قامت مدن / بشروط الفن / يكافح فيها

الشعراء

من أجل خلاص الإ نسان

بدأ استشهادي و خلاصي

حين عبرت الخط الاحمر للدنيا

مخترقاً كينونة حبّي الصمّاء (البياتی، ١٩٩٥ ، ج ٢، ص ٥٥٥- ٥٥٧).

النتيجة

نرى حياة شاعرنا الفنية في مسير تطوّر رؤيته الكونية، يعلو من شاعر وطني ثائر و ينتهي إلى شاعر صوفيّ ينشد إنسانية الشمولية ولكن يخلع الصفة السلبية للصوفية و هي الانعزال و عدم المبالاة بالنسبة للقضايا الاجتماعية و السياسيّة. فيبقى البياتی شاعراً واقعيّاً ملتزماً إلى نهاية مساره و ينشد حقوق البشر بأسره. كلّ هذا يحصل له من بركة المنافي و تعرّفه إلى شخصيات فكريّة عالميّة و الثقافات الإنسانية و الظروف السياسية بعد حرب ١٩٦٧ طبعاً.

فما أشرنا إليه أدىّ إلى تحول البياتی من شاعرمناضل يساري إلى شاعر إنساني ثم إلى شاعرٍذاي رؤية كونيّة شموليّة

صوفية في نطاق رؤيته الخاصّة للصوفية، يعلو إلى معراج فنّه الشعريّ. ففي هذا المسار إحساسه بالغربة أيضاً يمرّ بتلك التجارب و يرتقي من الاحساس الخارجي بالغربة، إلى الإحساس الذاتي والكوني المتعالي بالغربة.

الهوامش

١- ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق أطاحت بالنظام الملكي و أدّت إلى سيطرة مجموعة الضباط الأحرار برئاسة عبد الكريم قاسم .

٢- محمد مهدي الجواهري (١٩٠٠ – ١٩٩٧ م) شاعر عراقي و رائد الشعر الكلاسيكي العربي في العصر الحديث .

٣- محيي الدين ابن عربي (١١٦٥ – ١٢٤٠م) متصوّف و شاعرمسلم؛ ولد في الاندلس و أعطى الفكرالديني الإسلامي بعداً فلسفياً جديداً و قال بوحدة الوجود .

٤- أبوالعلاء المعرّي (٩٧٣ – ١٠٥٧ م) شاعر عربي عبّاسي مكفوف البصر. عاش عيش الزهاد و عرف بالقسوة في نقد المجتمع. غلبت الفلسفة على شعره مع نزعة الى الشك و التشاؤم .

٥- عمر خيام (١٠٤٨ – ١١٢٢ م) عالم رياضي و فيلسوف حكيم و شاعر ايراني. بثّ في رباعياته فكره الحر و المتمرد و إمتاز بالجرأة القويّة و الصراحة العجيبة و تعرّض للإتهام بالزندقة.

٦- حسين بن منصور الحلاج (٨٥٨ - ٩٢٢ م) صوفي مسلم، دافع عن الحركة الصوفية وادّعى حلول الذات الالهيّة فيه فاتّهم بالكفر والزندقة و سجن و عذب .

٧- ناظم حكمت (١٩٠٢ – ١٩٦٣ م) شاعر تركي، من أعلام الأدب التركي الحديث و زعـيمٌ ثوريٌّ يساريّ في بلاده .عبّر في شعره عن آلام الجماهير و عاش في المنفى فترة طويلة.

المصادر و المراجع

– البياتي، عبدالوهاب، **الأعمال الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٥ .

– البياتي، عبدالوهاب، **ما يبقى بعد الطوفان** (آراء، مختارات شعرية، سيرة و حوار)، إعداد عدنان الصائغ و محمد تركي النصار، ناري الكتاب العربي، لندن، ١٩٩٦ .

– شرف، عبدالعزيز، **الرؤيا الإبداعية في شعر عبدالوهاب البياتي**، دارالجيل، بيروت، ١٩٩١ .

– الصائغ، يوسف، **الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨**، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٨.

– عبدالقادر، فاروق، مقالة: "**رحل الشاعر عبدالوهاب البياتي**"، مجلة المصوّر، مصر، العدد ٣٩٠٥، آگوست ١٩٩٩ .

– فوزي، ناهدة، **عبدالوهاب البياتي حياته و شعره** (دراسة نقدية)، انتشارات ثارالله، ١٣٨٣، تهران.

- كامبل اليسوعي و الأب روبرت . ت، **اعلام الأدب العربي المعاصر**، ١٩٩٦، بيروت .

غم غربت و آوارگی در شعر عبدالوهاب بیاتی

دکتر ناهده فوزی

عضو هیات علمی دانشگاه آزاد اسلامی- واحد تهران مرکزی

چکیده

بیاتی شاعری بود همیشه درسفرکه چون پرندگان مهاجرکوچی همیشگی را برگزید و آوارگی در جهان را پیشه کرد و با دغدغه هجرت و تبعید اشعار خود را آکند، چندان که به عنوان شاعر تبعیدگاه‌های دنیا شناخته شد، همآره با احساس غربت دست به گریبان بود؛ احساسی که در گذار از مراحل مختلف جلوه‌های مختلفی به خود گرفت. به گونه‌ای که از واقعیتی ملموس آغاز شد وبه احساسی عرفانی وعمیق انجامید. در این مقاله تلاش شده تا با کشف ابعاد و ریشه های احساس غربت در شعر بیاتی زوایای پنهان و دغدغه های درونی شاعر نشان داده شود.

کلیدواژه‌ها: عبدالوهاب بیاتی؛ غم‌غربت؛ مهین، سفر